المحاضرة (6) في التربية الخاصة

**تطور تربية المعوقين** :

ذكرت كتب التاريخ أن حياة المعوقين قديما لم تكن حياة كريمة ولم يعاملوا بشكل انساني ، فقد كان ينظر الناس للمعوقين على انهم أفراد لا يحق لهم العيش، فكانوا يقتلون عند ولادتهم أو عند اكتشاف الإعاقة وكانت بعض الحضارات تستخدمهم للتسلية من خلال تعريضهم للحيوانات المفترسة في الساحات العامة ، وحضارات اخرى فرضت على المعوقين قيودا في الحركة والتنقل لتنبيه الناس منهم .

إلا أن هذه النظرة تطورت تدريجيا عبر مراحل التاريخ الى ان وصلت في الوقت الحالي إلى ايجاد تشريعات وقوانين لهم حفظاً لحقوقهم ودمجهم في الحياة ، وقد تبنت المنظمات الدولية الحفاظ على حقوقهم .

لقد قسم العلماء والباحثين في مجال التربية الخاصة تطور رعاية المعوقين عبر العصور إلى مراحل زمنية ، ولكل مرحلة خصائصها وسماتها المميزة وكما يأتي :

مراحل تطور التربية الخاصة : قسم كوافحة ويوسف (2007) الفترات الزمنية التي تطورت فيها النظرة الإنسانية للمعوقين إلى أربع مراحل هي :

اولا : مرحلة النبذ والابادة

تعد هذه المرحلة من أسوأ المراحل في التعامل مع غير العاديين أو المعوقين على وجه الخصوص كما ذكرت كتب التاريخ ، وقد تمثلت هذه المرحلة بمحاولة القضاء على المعوقين والتخلص منهم وخاصة المعوقين عقليا، وفي هذه المرحلة سمحت كثير من الشعوب بقتل المعوقين عقليا فقط ، كما كانت ترى كثير من الشعوب أن المعوقين يشكلون عبئا ثقيلا على المجتمع ، وهناك بعض الحضارات لم تسمح بخروج المعوقين إلى الشوارع أو الأحياء السكنية إلا بإذن خاص من الحاكم أو المسؤولين ، كما ويمنع خروجهم بدون المنبهات الصوتية حتى يبتعد عنهم الناس ، كما ويطالبونهم بلبس قفازات حتى لا ينقلون العدوى حسب معتقداتهم لغير المعوقين .

إلا أن الفراعنة تراجعوا عن قتل المعوقين الصم والمكفوفين، وقد اشارت كتب التاريخ إلى ظهور التعامل الإنساني عند الفراعنة للصم فيما بعد وظهرت بطابع إنساني ، ويعد الحكيم الفرعوني ( بتاح حوتب) أول من عالج الصم والمكفوفين .

وفي الحضارة اليونانية لم تكن النظرة إيجابية للمعوقين أيضاً ، ففي أثينا كانت النظرة للمعوقين سلبية وخاصة المكفوفين فقد دعا أفلاطون إلى إعدام المكفوفين .

أما أرسطو فقد رأى أن الأصم لا يجدي تعليمه لعدم قدرته على الكلام ، لذلك كان يرى بعدم إضاعة الوقت في تعليمه .

وفي أسبرطه كان المعوقين يوضعون على قمم الجبال لتأكلهم الطيور الجارحة ، أو يأخذونهم العبيد ليقوموا على خدمتهم ، وكانوا يرمون ذوي الإعاقات الذهنية في نهر ( اورتاس ) .

وقد واجه المعوقون في الحضارة الرومانية ألواناً من العذاب والاضطهاد والقتل ، ليس من المجتمع فحسب بل من أسرهم أيضا ، اذ القوا بهم في الشوارع ليلقوا مصيرهم .

ونصت القوانين الرومانية أن يوضع الطفل عقب ولادته عند قدمي والده فإن رفعه إليه أصبح فرداً في الأسرة ، وإن أعرض عنه بسبب تشوه في خلقته أو إعاقة ألقى به في الشوارع والأزقة ليلقى حتفه.

كما نص القانون الروماني الذي وضعه جو ستنيان عام (530م) بشأن حقوق الأصم ما يأتي :

1. الصم البكم منذ الولادة : يعين لهم وكلاء للتصرف في شؤونهم .
2. الصم الذين يتكلمون : أي الذين أصيبوا بالصمم بعد تعلم اللغة والبكم الذين يسمعون ، لا قيود عليهم ولهم حقوق وعليهم واجبات .
3. الصم البكم الذين يستطيعون الكتابة : يسمح لهم بتولي شؤون حياتهم والاتصال من خلال الكتابة .

ويمكن تلخيص خصائص هذه المرحلة بما يأتي :

1. النظرة السلبية والسعي نحو إبادة المعوقين .
2. المعاملة السيئة والقاسية لجميع المعوقين .
3. في نهاية المرحلة أبدت بعض الحضارات شيئا من الإيجابية نحو بعض الاعاقات غير العقلية .
4. المعوق مصدر عار لأسرته لذلك كانت الأسر تسعى للتخلص من ابنها المعوق .

ولذلك تعد هذه المرحلة من المراحل الأشد قسوة وسوءا بالنسبة للمعوقين في جميع الحضارات الغربية ، وربما يرجع البعض إلى أن سبب هذه النظرة السلبية التي كانت ما قبل الحضارات للمعوقين لارتباط الإعاقة بالمفاهيم المتعلقة بالأرواح الشريرة والجن والشياطين ، التي كان يعتقد بأنها حلت في أجساد المعوقين حسب ثقافة هذه الحضارات ، اذ كانت الإعاقات ( البصرية ، العقلية ) مرتبط بغضب الآلهة ، وكان ( العمى) الإعاقة البصرية بصفة خاصة مرتبطة بانتقام الآلهة التي حرمت عبدها من نورها ومن التمتع بجمال كونها نتيجة فواحش ارتكبها أو قربانا لما يقدمه له وهكذا.

ثانيا : مرحلة الرعاية المؤسسية

في هذه المرحلة أخذت النظرة للمعوقين تتحسن بشكل أفضل ، إلا انها لم تصل إلى حد الاهتمام بهم كأفراد في المجتمع لديهم طاقات وإمكانيات يمكن استغلالها ، واقتصرت هذه المرحلة على الاهتمام بالمعوقين على شكل الرعاية الايوائية وتقديم الخدمات الصحية الأساسية ، كالغذاء والمأوى ضمن الحدود التي تؤمن لهم استمرارية العيش ، وكانت هذه المؤسسات التي وضع فيها المعوقين بعيدة عن المساكن يقيمون فيها إقامة دائمة لا يسمح لهم بالاختلاط بالآخرين ، ويقوم على رعايتهم المتطوعين انطلاقاً من مشاعر البر والإحسان المرتبطة بالعاطفة الدينية والمبادرات والجهود الفردية لبعض الاطباء والمربين ويمكن تلخيص خصائص أو سمات هذه المرحلة بما يأتي :

1. وضع المعوقين في مؤسسات رعاية ايوائية بعيدة عن المجتمع والمساكن .
2. خدمات صحية وغذائية في الحدود الدنيا .
3. رعاية تعتمد على مشاعر البر والاحسان والعطف عليهم .
4. بداية اتجاهات المجتمعات الإيجابية نحو المعوقين .
5. ليس هنالك خدمات تعليمية .
6. تعتمد هذه الخدمات على جهود فردية تطوعية .
7. الخلط بين العطف والاتجاهات السلبية فقد كان يتعرض المعوقين للضرب اعتقاداً بوجود الشياطين داخلهم ويعملون على إخراج الشياطين بضربهم وإيذائهم .

ثالثا : بداية القرن العشرين

تعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة من حيث الاهتمام بالمعوقين ووضعهم في مؤسسات بعيدة عن المجتمع ، إلا أن تطوراً حصل في المرحلة لتربية المعوقين ، فبالرغم من بقاء النظرة السلبية ولم تتغير بشكل واضح وملموس، إلا أن هذه المرحلة أفضل من المراحل السابقة من حيث إيذاء المعوقين وقتلهم، وبداية الاهتمام وإن كان ضئيلا بهم، مثل بداية الاهتمام التربوي على وجه الخصوص من قبل بعض المربين أمثال (ايتارد 1775- 1838) الطبيب الفرنسي الذي يعتبر مؤسس التربية الخاصة، من خلال محاولاته تعليم وتدريب الأطفال المعاقين عقليا ، وكانت البداية في محاولة تعليمه الطفل الذي وجد في غابات الأفيرون وتبين فيما بعد أنه معاق عقليا، كما ويعتبركل من (سيجان 1812- 1880) ومنتسوري (1870- 1952) من الرواد الأوائل في تربية وتعليم المعاقين من خلال أفكارهم وكتبهم وأبحاثهم ، ويمكن النظر إلى الخصائص التي تتميز بها هذه المرحلة وهي :

1. قدمت مراكز المعوقين خدمات تربوية بسيطة اقل من المطلوب، اضافة الى ما تقدمه من خدمات اساسية متمثلة بالإيواء والتغذية والصحة .
2. تعززت العلاقة بين الطفل المعاق واسرته ، من خلال زياراتهم له في المناسبات .
3. النظرة للمعوقين أكثر إجابيه من المراحل السابقة .
4. ظهور أفكار تربوية حول كيفية تدريب وتعليم المعوقين، ومن أهمها أفكار ماريا منتسوري وايتارد وهوي وهيلين كيلر وثوماس جاليدت الذي يعتبر من أوائل المهتمين في تربية وتعليم الصم .
5. ظهور أول مؤسسة لرعاية المعوقين وهي المركز الوطني لرعاية المعوقين والعناية بهم في الولايات المتحدة الأمريكية (1919م) ، وكان يضم المركز إعاقات مختلفة وأعمار مختلفة .

كما وأسست أول مدرسة للمكفوفين في أمريكا وأول مدرسة للصم في مدينة هارت فورد، وأنشئت أول كلية لتعليم الصم في واشنطن عام (1935م) .

1. استمرار الإهمال والنبذ من قبل بعض أولياء الأمور لأطفالهم .
2. ظهور بعض الدراسات حول تربية المعوقين والاتجاهات نحوهم ، ومن هذه الدراسات دراسة سومرز في اربعينيات القرن الماضي لدراسة اتجاهات الوالدين وأثر البيئة نحو المكفوفين وكانت العينة تضم (143) مكفوف منهم (86) كفيف ، (57) كفيفة وطبق عليهم اختبار كاليفورنيا للشخصية وكانت خصائص العينة كما يأتي :

* مكفوفون كليا – وجدت الإعاقة قبل عمر ست سنوات .
* أعمار العينة بين 14-22 سنة .
* درجات ذكائهم حسب اختبار رينيه 89- 168 درجة .
* لهم أخوه مبصرين .

وكانت نتائج الدراسة كما يأتي :

* تكيف المكفوفين اقل من المبصرين .
* تكيف الكفيفات أعلى من المكفوفين .
* سوء التكيف والاضطراب الانفعالي عند المكفوفين يعود لعوامل اجتماعية أكثر من الاعاقة نفسها .
* رفض الإعاقة والاتجاه السلبي نحوها من قبل الوالدين .

رابعا : المرحلة المعاصرة

تطور الاهتمام في هذه المرحلة بالمعوقين بشكل اكبر وواضح وظهرت الاهتمامات العالمية ، والتي تمثلت بالدراسات والأبحاث العلمية في مختلف المجالات التربوية لتعليم وتربية المعوقين ، وتقديم الرعاية الطبية للوقاية من الإعاقة والقضاء على أسبابها، ويمكن تلخيص سمات أو خصائص هذه المرحلة في الجوانب الآتية :

1. تميزت بالاتجاهات الاكثر ايجابية نحو المعوقين .
2. أصبح المجتمع الإنساني أكثر تفهما لموضوع المعوقين وحاجاتهم التربوية والصحية وأن لديهم قدرات يمكن استغلالها .
3. ظهور أفكار تربوية جديدة مثل المجتمع للجميع ، التربية للجميع المجتمع بحاجة لكافة أفراده، ومدرسة الجميع ، والتأكيد في التشريعات الأمريكية على أن المدرسة العادية ملزمة بجميع الأطفال.
4. ظهور فكرة دمج المعوقين في المجتمع .
5. ظهور أفكار جديدة حول برامج رعاية المتفوقين عقليا والموهوبين ومنها : التسريع أو الاسراع وله اشكال عدة ويعبر عنه بالقفز التعليمي ، والإغناء أو الأثراء ، والتجميع في صفوف أو مدارس خاصة ، ولكل من هذه البرامج اشكال عدة اضافة الى غيرها من البرامج .
6. ظهور برامج التفكير للموهوبين مثل برامج الكورت، والقبعات الست للتفكير الذي طوره ادوارد دي بونو "Edward de Bono " .
7. ظهور أبحاث حول اسباب الإعاقة والوقاية منها مثل اكتشاف العلاقة بين إصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية ، وكثير من الإعاقات خاصة الإعاقة السمعية ، فظهرت فكرة التطعيم أو التحصين ضد كثير من الفيروسات .
8. ظهور التشريعات القانونية لحماية المعوقين كالقانون الأمريكي، وكثير من القوانين في الدول العربية والتي يختص بعضها في التشغيل أو الصحة، وقد صدر في العراق قانون رقم (38) لسنة 2013 لرعاية ذوي الاعاقة والاحتياجات الخاصة .
9. ظهور فكرة المدرسة الشاملة .
10. ظهور الجمعيات والمؤسسات العالمية لغير العاديين ومنها :

* جمعية الاتحاد العالمي للمكفوفين ، أسس عام (1984) في باريس .
* الاتحاد العربي للهيئات العاملة مع الصم ، أسس عام (1972) في دمشق .

أما الجمعيات والمؤسسات الخاصة بالموهوبين فمنها :

* مؤسسة نورالحسين ومركزها – عمان – الاردن .
* مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لتعليم الموهوبين ، المملكة العربية السعودية .
* أكاديمية التربية الخاصة برعاية الامير تركي بن ناصر في الرياض – السعودية ، وتهتم هذه الاكاديمية بشؤون التربية الخاصة وإصدار الكتب والمؤلفات التي لها علاقة بالتربية الخاصة .
* الهيئة الوطنية لرعاية الموهوبين في العراق .

نظرة الإسلام للمعوقين :

نظر الإسلام إلى الانسان على انه كائن مكرم لقوله تعالى (ولَقَد كَرًمنا بَنى ادم ) (الاسراء ،70) ، ولم يميز بين أفراد مجتمعه لا على لون، ولا على جنس وإنما كانت مقياس الأفضلية عند الله هي التقوى (إن أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقكم إنَ الله علِمٌ خَبِير) ( الحجرات ، 13) ، وكان التأثير الواضح للقيم الإسلامية مجودا فلم تستثني تعاليم الإسلام المعوقين عن بقية بني آدم ، إذ كرمت البشرية كلها .

وفي الحديث الشريف ، قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ( يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد إن أباكم واحد . ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ) (مسند أحمد 5/4) .

فالفروق الخلقية : العضوية واللونية والعرقية ، وكذلك الفروق الطارئة كالفروق الاقتصادية ، والاجتماعية والفروق الثقافية في المناصب الإدارية لا تصلح هي الأخرى ، من وجهة نظر الإسلام للتفريق بين البشر في التعامل ، اذ قال " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ".

كذلك نهت تعاليم الإسلام عن كل علو وكبرياء ، واحتقار بين المسلمين ( يأَيٌها الًذين إمنُوا لا يسخَر قَومٍ مِن قَومٍ عَسى أن يَكُونُوا خَيراً منُهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكُن خيراً مِنهُن ولا تلمزُوا أنفُسكم ولا تنابزُوا بالألقاب ) ( الحجرات ، 11) .

ولقد أقر الإسلام مبدأ الأخوة والتكافل الاجتماعي ، فقال تعالى ( إنًما المُؤمِنُون إخوةً ) ( الحجرات،10) ، ويوجب على المسلمين أن يتعاملوا باحترام ، وإدخال السرور إلى قلوب إخوانهم وقضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم ، فقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم " والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه " ( صحيح مسلم ) .

والدين الإسلامي يحث على المساواة والعدل وحفظ الحقوق ، ومراعاة الفروق الفردية وعدم التمييز في المعاملة ، وهو دين يسرولم يفرق في العمل فكل حسب قدرته ، عن أنس – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف ابن مكتوم على المدينة يصلي بهم وهو أعمى ( احمد بن حنبل 3/132) وقد كان مؤذنا ، وبما أن الإسلام دين الشمولية فلم يترك أمراً إلا وتحدث به وعالجه ، فقد تناول الضعفاء والمعوقين وضرورة مراعاتهم ، والاهتمام بهم والتعامل معهم كبقية أفراد المجتمع .

ولما ازدهرت الحضارة الإسلامية اعتبرت الإعاقات بمختلف انواعها أمراضاً تتطلب العلاج مثل ابن سينا والكندي ، فاعتمدوا التجربة والتحليل في الطب ، واعتبروا أنه لا دخل للشيطان في الإعاقة العقلية وأسس بمارستان بغداد سنة (786م ، 137هجرية ) الذي كان اول بمارستان خاص بالأمراض العقلية ثم انتشرت هذه المؤسسات إلى شمال افريقيا ونموها إلى أوربا عبر اسبانيا ، ولكن في بداية القرن الخامس عشر، انطفأت هذه الشعلة العلمية ، وشاعت الشعوذة والانحرافات والدجل الى مفاهيم العلاقة في العالم العربي والإسلامي، وإلى وقت غير ببعيد ظهرت حقوق للمعوقين في كثير من البلدان وكانت مرتبطة باعتبارات انتفاعية منها مدى قدراتهم ومدى إنتاجهم في المجتمع .